

الرائد

في اللغة العربية

محمّد مالك



0555405921

رواية الصقر

السيرة الذاتية الروائية

للكاتب : جيلير سينويه

القيمة الأدبية للرواية :

تعتبر رواية الصقر من أهم الروايات العربية التي تناولت شخصية تاريخية ، حيث تتميز بأسلوبها السردى الممتع المشوق ، ولغتها السهلة التي تقدم للقارئ صورة واضحة عن حياة الشيخ زايد وإنجازاته .

تدور أحداثها حول شخصية الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان "طيب الله ثراه" ، حيث نجح الشيخ زايد رحمه الله في ظرف ٢٠ عامًا تحقيق معجزة حقيقة واقعية وهي تحويل وتبديل الصحراء الضخمة القاحلة إلى حديقة خضراء غناء بالأشجار والزهور والورود ، وأخرج مدينة من العدم إلى بلد يشار له بالبنان ، ووضع نهضة الإمارات وجعلها من أهم البلاد في الشرق الأوسط وفي العالم بأكمله .

مضمون الرواية :

تعد رواية الصقر سيرة ذاتية ملهمة لقائد استثنائي سطر بأحرف من نور بصمات واضحة في التاريخ الإنساني ، كما أنها تقدم نموذجًا للقائد الحكيم والإنسان المحب ، الذي كرس حياته لخدمة شعبه ووطنه .

الفصل الأول

"من بطن أمي ، متى خرجت ؟

أيّ أمير ، أيّ ملك ، يمكنه أن يقتلع

جذوره حقًا من هذا الملكوت "

١- يبدأ الكاتب مستخدمًا تقنية الاسترجاع على لسان الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان "طيب الله ثراه"، في الدخول إلى الأحداث بطريقة مباشرة، فيعرفنا بنفسه وقبيلته وعائلته، وعن طموحه في تحويل الصحراء القاحلة إلى حضارة يشهد لها التاريخ الإنساني، فيقول على لسانه أنا زايد بن سلطان حفيد زايد الكبير، صنعت أمة كمل يتشكل الصلصال، ولم أفعل ذلك لمجدي بل لمجد قومي.

بعدها يذكرنا في عجالة عن احتلال المنطقة من قبل البرتغاليين ثم الهولنديين إلى الأتراك الذين لم يقدرُوا علة مواصلة الحياة وسط هذه الكثبان الرملية.

٢- مازال الحديث على لسان الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان "طيب الله ثراه"، فيذكر لنا الصحراء المحيطة من كل جانب وعن الربع الخالي في واحة ليوا، ألتغير هذا الكثبان وتصبح ناطحات سحاب، ثم يتحدث عن أصله البدوي الذي يحمل من القيم والمبادئ والعادات التقاليد الخاصة به، منتقلًا إلى بعض المهن والحرف المنتشرة آنذاك كالرعي وصيد اللؤلؤ وقص الأثر، وعن حبه للشعر والشعراء واستساغته لفنون الشعر، إلا أن أصوله لم تمنعه من استبدال السيارات ذات الدفع الرباعي بالجمال.

٣- ثم يحدثنا عن قدوته الأولى "جده زايد الكبير" وعن إعجابه به الذي حكم قبيلته في سن العشرين واستمر حكمه زهاء ٥٥ عامًا ولماذا كان شغوفًا بهذه العقلية البدوية البسيطة ثم يعدد لنا أهم مميزاته فيقول: كان يشع بالحكمة وبعد النظر، لم يعتمد في تثبيت السلطة على القوة بل على التوازن بين الحقوق والواجبات، وإلغاء الرق وتعليم البنات، وتوثيق العلاقة بين الزعماء والقادة، بعدها يقسم الناس إلى فئتين: فئة ترعى الماشية، وفئة تجمع بين البر والبحر "صيد اللؤلؤ" ويوضح لنا خطورة مهنة اللؤلؤ وبين الآثار الإيجابية والسلبية لهذه المهنة المليئة بالمخاطر، كان علينا أن نبقي أحياء.

٤- ثم يتحدث عن اهتمام جده بالزراعة وعن اكتشاف الأفلاج وكان أولها في واحة العين، حيث استمر الحفر في أول هذه الأفلاج "فلج الجاهلي" لمدة ١٨ شهرًا، وأن الأعمال الكبيرة لا تتم إلا إذا كان ملهمًا من قوة أكبر، وأنه ليس هناك قوة أكبر من الحب والعطاء.

ثم يخبرنا عن أبنائه الذين أصبحوا رجالًا يفتخر بهم، وعن زوجته الشيخة "فاطمة" الضوء المتألق الذي أنا طريقة أربعين عامًا، وعن أمه الشيخة "سلامه بن بطي" من قبيلة القبيلي

الكريمة ، ثم يحدثنا عن دور هذه السيدة العظيمة التي جمعت أبنائها وجعلتهم يقسمون أمامها قسم الحب والانتماء لبعضهم البعض وعدم القتل وأنها بثت في أعماقنا مبدأ السلام عن النزاع ، فالشر لا يقضى عليه إلا بالخير وحده .

٥- لكن دائمًا ليست الأمور على ما يرام ، فيحدثنا البطل عن الأحزان التي تعرض لها وهو صغير عندما فقد أباه وهو في الثامنة من عمره ، ثم يحدثنا عن نعمة النيسان وأنه ليس من المستحب إيقاظ الأشباح من سباتها . ثم يتعجب من هؤلاء الناس الذين تحجرت قلوبهم فلا يتأثرون لفراق أحببتهم ، وهو يخلو بنفسه في الليل فلا يتمالك نفسه عند تذكرهم .

الفصل الثاني

"لكل شيء أوانه تحت السماء"

١- يبدأ الشيخ زايد رحمه الله بوصف قصر المويجعي الذي يعيش فيه ، ثم ينتقل إلى شخصية جديدة " ولفريد ثيسغر " الإنجليزي المكتشف المؤرخ ، فيدور حوار بين الاثنين المؤسس والمؤرخ ، فيذكر "ولفريد" عن حسن استضافة الشيخ زايد وعن كرمه وسرعة بديهته ، ثم يذكر "ولفريد" العون والمساعدة الذي قدمه الشيخ زايد له قبل استكمال رحلته إلى عمان ، وكذلك فمن أساسيات الحوار بين الاثنين كانت عن الشيخ شخبوط حاكم أبوظبي حينها ، وعن اهتمامه بالماء أكثر من أي شيء آخر حتى وإن كان النفط الذي بدأ اكتشافه .

٢- في هذه الأثناء بُشر الشيخ شخبوط بالنفط ، لكن شغله الشاغل الماء "فالماء سر الوجود" ، ثم يذكر لنا موقف يبين لنا حكمة وذكاء الشيخ شخبوط عندما اقترح المهندسين إنشاء خط للماء لكن الشيخ بفكره استطاع أن يوفر مبلغ ١٠ آلاف دولار ، كذلك فإن بطلنا ذكر لنا الضغوط التي تمارسها المملكة المتحدة على أهل المنطقة للحصول على النفط وعلى الاستفادة منه والأهم مصلحتها وفقط ، ثم تابعا الحوار عن اللؤلؤ الذي كان يعتمد عليه أهل الإمارات حينها وعن استغلال البانيان التجار الهنود لأرزاقهم من تجارة اللؤلؤ، بعدها تطرقا إلى الحرب الدائرة بين العرب واليهود في فلسطين ، إثر الإعلان عن قيام دولة إسرائيل .

٣- ثم يأتي الحديث عن النفط ومشتقاته الذي يحتاجه العالم بأسره ، وعن دور المنطقة المهمش حينها إلى دور محوري ، ثم يذكر المؤسس شخصية "كوكيشي الياباني" مع ولفريد وعن عمله في استخلاص اللؤلؤ الزراعي الأمر الذي أثر بالسلب على أهل المنطقة وعلى مصالحهم وأعمالهم . من خلال الحوار بين الاثنين يتبين لنا الفرق بين طموح زايد وأخيه وولفريد ، ثم يذكر لنا الكاتب بعض المواقف التي تثبت عبقرية وحكمة الشيخ زايد ومنها : موقفه مع صاحب الإبل المسروقة وغضبه مع هدوء الشيخ زايد وثباته الانفعالي ، وكذلك موقفه مع شخصية عبدالرحمن الغني الذي صار فقيرًا بسبب كرمه وقول المؤسس "ارحموا عزيز قومًا ذل " الذي حرص البطل على تعويضه ومنحه ما يعينه على أساسيات حياته .

٤- ثم يذكر المؤسس لنا عن أول مولود له في السابع من سبتمبر . وتتابع الحوار عن الحرب الدائرة في أوروبا والدمار الذي لحق بالجميع فائز وخاسر ، وذكر البطل عن تعاليم الإسلام التي تدعو إلى التسامح .

٥- ثم ينتقل البطل بالحديث عن طموحه في المستقبل مستخدمًا "تقنية الاستشراف" وعن تطلعاته لبلاده الذي يأمل في جعلها أمة تكون في طليعة الأمم ، وعن أمله في إبراز دور المنطقة في العالم وعدم تهميشها ، وكذلك حبه لمد يد العون لكل محتاج دون تردد وأنه سيبدل قصارى جهده لإبعاد المنطقة عن الحروب وشرها . ثم يحدثنا البطل عن الاتفاق مع الإنجليز الذي كان ضروريًا ساعتها ، حيث توفر الحماية العسكرية لوطنه وشعبه في ظل عدم وجود جيش خاص بالبلاد .

٦- فرضت المملكة على سكان المنطقة معاهدة السلم وأطلق على الساحل "الساحل المتصالح" بعد أن كان اسمه "ساحل القراصنة" الذين كانوا يقطعون الطريق أمام السفن ، اضطر ذلك إلى إرسال سفن حربية تابعة للإنجليز من أجل توفير الحماية في الخليج العربي .

ثم يتحدث البطل عن سيارته اللاند روفر التي أصبحت عوضًا عن الجمل ، وعن مواصفاتها التي تمكنه من الوصول لأخيه في العاصمة في غضون ثلاث ساعات ويقول "لكل شيء أوانه تحت السماء " .

الفصل الثالث

"طوال حياتي كنت أحلم مستيقظًا"

١- يرد الكاتب أن يوصل لنا موهبة الشيخ زايد الشعرية وتأثره بالشعر الشعراء وخاصة "المتنبى" ، فيبدأ الفصل الثالث بقصيدة شعرية من الشعر النبطي للشيخ ، بعدها يوضح لنا الكاتب علي لسان البطل الفرق بين الأحلام من وجهة نظر البطل فيقسمها إلى قسمين : الأول حلم النائم ، والثاني حلم اليقظان والفرق بينها ، وأن النوع الثاني أحلامه مشاريع ومشاريعهم تصبح حقائق عاجلاً أم آجلاً . ثم يقدم لنا البطل وصف القرآن الكريم للجنة كما جاء في الذكر الحكيم ، وهذا يدل على تأثر البطل بالدين ومعرفته الجيدة بالقرآن الكريم ومرجعياته الإسلامية .

٢- كاتب سيرتنا لقبه عند أهل الإمارات "مبارك بن لندن" ثم يعدد لنا الشيخ بعض صفاته : الشجاعة ، الإخلاص ، حب الجمل للعرب وعن حبه للاستكشاف وخاصة المنطقة العربية ، بعدها يتحدث البطل عن أبناء المنطقة وعن الأربعة شهور التي يقضونها في البحر بحثاً عن اللؤلؤ ، وأيضاً يحدثنا عن غطسة الإنجليز والضغوط الكبيرة التي مارسوها على الشيخ شخبوط ، عن طريق ممثلهم في المنطقة "كوكس الميجر" .

الإنجليز ساعته كانوا سادة العالم وقوة لا يستهان بها ، ونالوا إعجاب الشيخ إلا أنه يرى "لا يصبح المرء كبيراً إلا عندما يصغي إلى الصغار" ، وكيف تحافظ الأمة على هويتها إلا من خلال الاتحاد الذي بدوره يقي من الضربات العنيفة التي من الممكن إيذاؤها .

٣- ثم يحدثنا الشيخ عن أول رحلة يقوم بها خارج البلاد ، التي كانت إلى الهند بصحبة أخيه هزاع ، الذي كانت تربطه علاقة قوية وقد اشتركا الاثنتين في حبهما لصيد الصقور وبأمر من أخيه الشيخ شخبوط الذي أوكل إليهم مهمة كبيرة جداً حينها ، وهي الوصول إلى حل في مشكلة اللؤلؤ الزراعي الذي أثر على المنطقة بصورة كبيرة ، في أثناء الرحلة هذه التي كانت عن طريق البحر والتي بدأت من دبي إلى كراتشي باستخدام أحد السفن البخارية ، وصلا الاثنتين إلى الهند وقد نالا إعجابها الأسواق الكبيرة المليئة بالبهارات ، القماش ، الحرف المتنوعة ، حينها كان الشيخ يحلم بأن تكون بلاده كهذه من التنوع في البضائع والتنوع الديني بعد أن تتحسن الظروف في المنطقة .

٤- يذكر لنا البطل أنه لم يولد وفي فمه ملعقة من ذهب ، إلا أن الطموح والعزيمة قد أوصلاه إلى كل ما حلم به ، فقد اشترى قصر في لندن ومع ذلك فإنه لا يحب حياة القصور وأنه تعود على

حياة الصحراء ، ثم يحدثنا عن أول ما تعلم وهو القرآن الكريم على يد المطوعين مقارنة بأخويه اللذان تعلموا على يد مختصين في الكتابة والقراءة ، هذا نتيجة سفر الشيخ زايد المتكرر وبعده عن العاصمة وإسناده أعمال كثيرة في سن مبكرة .

يحدثنا أيضًا عن تأثره بالمتنبي أنه يعتبره سيد الكلمة وأشعر الناس ، وعن أشعاره في الحكمة والمدح ، وعن موهبته المعقدة التي من الممكن أن يمدح ويهجو شخص في آن واحد ، وعن سبب وفاته وأن كبرياءه السبب في ذلك.

٥- ثم يعود إلى الهند مرة أخرى وإلى كراتشي تحديدًا ويطلق عليها بقالة الهند الكبرى وسوقها الأكبر في العالم ، وعن التنوع في الأقمشة وفي اللحوم وفي البهارات وعن شبكة خطوط السكة الحديد ، بعدها يحدثنا عن نتيجة هذه الزيارة وأنها لم تكن سارة ولم تؤتي ثمارها ، ثم يذكر لنا المهمة الرسمية التي أسندت إليه وهي توليه ممثلًا رسميًا في العين بناء على طلب أخيه الشيخ شخبوط .

الفصل الرابع

"لا ينتصر الناس على الطبيعة إلا بالخضوع لها"

١- في مطلع هذا الفصل يصف لنا الشيخ مقتطفات من الحياة البدوية الصحراوية ومنها حياة الصقر ، والحبارى والشاهين وعن تجربة الصيد بالصقور ، وعن قدرة الله في الحباري الذي يفرز مادة عندما يشعر بالخطر ولو أصابت عين الصقر لأعمته ، كل هذا الحديث مع مبارك بن لندن الذي قال "عجائب الطبيعة لا تعد ولا تحصى" .

بعد ذلك وعن طريق تقنية الحوار الخارجي مع بن لندن يذكر لنا الشيخ عن مهاراته في الصيد بالصقور ، وعن بداية تعليمه لهذه المهارة حينما كان في سن الثامنة ، أدى هذا التواصل بين الشيخ والطبيعة إلى علاقة قوية ولهذا سمي بـ "رجل الطبيعة الأول" وذلك لأنه وضع القاعدة الكبرى "عدم الصيد بالبندقية التي تخل بالتوازن البيئي" ، بعدها يتحدث الشيخ عن مراحل ترويض الصقر التي تبدأ على ضوء خافت أو شمعة ثم يُنزع من على رأسه البرقع ، ثم يداعب برفق ، ثم يغريه المروض بمحاكاته لصوته ، والأهم أنه لا يشعر بالشبع حتي لا يفر ولا يعود أدراجه ثانية ، ويلزمه في أي مكان يذهب إليه وعندما ينام المروض يقف المروض على مكان قريب منه

ويضع على رأسه البرقع وينزعه مرارًا ، فالصقور أشبه بالناس في كونهم صناديق مقفلة التجربة والعشرة هي فقط من تفتحها .

٢- و بتقنية السرد يتحدث عن المشكلات التي أحدثها الإنسان في الطبيعة متمثلة في تلوث البر والبحر والجو ثم يقول الشيخ "لا ينتصر الناس على الطبيعة إلا بالخضوع لها"، أثناء الحوار هذا بين الشيخ وبين مبارك يرى ويفرد أن زايد يسبق عصره بنصف قرن ، وأكمل الشيخ أنّ هناك سببان أساسيان لمنع الصيد بالبندقية أولهما : أن الصيد بالبندقية ليس فيه متعة ، والثاني هو الإخلال بالتوازن البيئي ، وأن المبالغة والإسراف في هذا النوع من الصيد أدى إلى تقلص أعداد كبيرة .

٣- بقي ولفريد زهاء شهر في ضيافة الشيخ ، تعلم وتعرف فيها بن لندن على الكثير والكثير من حياة الشيخ الخاصة وعن النزعة الإنسانية بداخله ، وعن علاقته بالبيئة ، وعن طموحه في نقل هذا الحياة الحالية إلى الحداثة والتقدم وهو الأمر نفسه الذي تحدث به بن مبارك ، وعن حب الناس له الذي عاشه بن مبارك بعد معاشرته للشيخ ، وعن بدويته المستنيرة ، وعن قيادته الفطرية .

مضى جزء كبير من شهر يونيو ، فقرر بن مبارك تأجيل رحلته العمانية والذهاب إلى العاصمة ، فرد الشيخ عليه قرار حكيم ، ثم عرض الشيخ عليه أن يصحبه بسيارته اللاند روفر إلا أن بن مبارك فضل الذهاب بالجمال ، فأعاره الشيخ ناقته غزالة ، وأخبره أنك ستمطي أجمل غزالة وأن الناس سيحسدونك عليها ، فأخبره بن مبارك أنه سيخبر الناس عن اللقاء بالشيخ وعن كرمه وحكمته ورؤيته ، وهذا إنما يدل على مكانة الشيخ زايد في المنطقة ومعرفة الجميع به.

الفصل الخامس

"حيث أرى البحر يرى هو مركبًا"

"العين يناير ١٩٥٠"

١- يبدأ الفصل الخامس بذهاب الشيخ متجهًا إلى الساحل قاصدًا أخيه ، فيصف لنا الشيخ العاصمة التي كانت تتكون من مبانٍ متواضعة ، بعدها ينتقل إلى وصف قصر الحصن البناء البدائي البسيط وفيه يتقابل الشيخ عند باب الحصن مع مفوض العلاقات البريطانية "وبري

غوردن" ، تبادلًا الحديث بعدها ذهب المفوض إلى دبي ، ودخل الشيخ إلى أخيه ، فتبادلًا التحية باحترام متبادل ، وسأل الشيخ عن حال أخيه ، وحال زوجته الشيخه مريم ، وعن حال أمهما .

٢- تحدث الأخوين إلى بعضهما البعض فبدأ الكلام من الشيخ شخبوط الذي أوضح فيه أنه لا يريد لهؤلاء الأجانب دس أنوفهم في الشأن الداخلي وأنهم يهددون السلم العام لنا وكذلك بين مخاطر النزاع الحدودي ، فرد الشيخ يجب تجنب سفك الدماء مهما كان الثمن "وأنه لا ينبغي لعربي أن يسفك دم عربي آخر" ، ثم ينتقل الحديث إلى الشيخ فيخبر أخاه عن مشكلة الأفلاج وتدفق المياه فيها ، وأنها تحتاج إلى معدات حتى تعود هذه الأفلاج للعمل بكامل كفاءتها ، وأن هذه الأفلاج لا غنى عنها ، خاصة بعد تدهور تجارة اللؤلؤ ، وأن الشيخ يريد إنشاء وحدتين لتحلية المياه ، وبناء المدارس والطرق والمستشفيات .

٣- مازال الشيخ يعرض على أخيه أنه بحاجة إلى المعدات الحديثة التي تمكنهم من إعادة الأفلاج بكفاءة ، الأمر الذي يترتب عليه وصول المياه لكامل سكان العين دون استثناء ثم ردد " أن المستقبل لا ينتظر أحدًا بل يجب علينا الذهاب إليه " ، ثم يعرض الشيخ على أخيه كلمة التقدم الذي قابلها الشيخ شخبوط بشيء من الحذر ، لأن الأجانب كانوا كثيرًا ما يذكرون الكلمة هذه للشيخ شخبوط ، ثم تابع رأيه عن التقدم فقال التعليم عمل مقدس لكن لا ينبغي أن يتولاه إلا معلمون من بلادنا ، ثم يسأل الشيخ شخبوط أخيه عن موقف أخويه هزاع وخالد من هذا الكلام ، فيخبره الشيخ أنهما يدعمانه رغم الاختلاف في وجهات النظر .

بعد ذلك يقول الشيخ "بصفتي أخاك أملك حبي وولائي ، وبصفتي مواطنًا أوليك طاعتي واحترامي ، وسأبقى هكذا دائمًا ، ما قدر الله لنا من حياة " ثم يعرض عليه فكرته في مشكلة الأفلاج التي تنقسم إلى خمس مراحل : مرحلة تنظيف القنوات ، مرحلة البحث عن الماء ، مرحلة التشاور مع القبائل ، مرحلة المشاركة في الحفر ، مرحلة توزيع الماء بالتساوي حتى تصل للغني والفقير .

٤- ثم يذكر لنا الشيخ عن شخصية صديقه "فارس" الذي لا يعرف أصله لكنه يحبه ويحترمه ويصغى إليه ، فيرى الشيخ أنه مكمل له " له قوة الأسد وقلب حمل " ، دار الحوار بين الشيخ وصديقه فتكلما عن حل مشكلة وصول المياه لكل وأن الأغنياء يحصلون على غير حقوقهم ،

وكذلك تكلموا عن المستقبل وماذا يريد الشيخ أن يفعل من بناء مستشفى هنا ومدرسة هنا ، ثم جاء الحل من صديقه ، فاقترح عليه أن يذهب إلى القبائل ويعرض عليهم فكرة التنقيب عن

المياه الجوفيه ، وبدأ الشيخ وصديقه بالذهاب إلى القبائل وعرض الفكرة عليهم وأنهم يحتاجون إلى الرجال حتى يتمكنوا من الحفر دون مقابل ، الأمر الذي واجه معارضة كبيرة في بدايته وجدال بين الشيخ وسادة القبائل ، لكن جاء دور صديقي الذي وجه إليهم هذه الكلمات "يا إخواني ، نحن لا نجرأ على الأشياء لأنها صعبة ، بل إنها صعبة لأننا لا نجرؤ عليها . أين ذهبت نخوتكم البدوية ؟ أين شجاعتكم ؟ أين ثباتكم " أصابت هذه الكلمات كبرياء السادة فقبلوا التحدي ، و بدؤوا بحفر الصاروج كبئر أم ثم تمر المياه بواسطة قنوات صغيرة إلى مختلف الأماكن .

٥- لكن صارت الأمور بطريقة غير مرضية للشيخ ، استغل الأغنياء سلطتهم ونفوذهم وأخذوا كل المياه وتاجروا فيها بأسعار مضاعفة ، ثم يذكر لنا الشيخ " الغضب ليس من شيمي " ، فأخذ قرارًا : بوقف أخذ مياه الصاروخ من قبل الأغنياء ، حيث يكفيهم أخذ المياه من الأفلاج القديمة ، ويصبح البئر الأم للفقراء .

الفصل السادس

"من اختلافنا يجب أن تنشأ الرابطة التي توحد الناس"

١- في باريس ٢٢ أغسطس ١٩٥١ ، كانت شركة البترول "سوبريور أويل أوف كالفورنيا" لها حق التنقيب على البترول على الساحل ، لكن مع مرور الوقت ظهر البترول في منطقة "الأفشور" ويقصد به المناطق البحرية التي تقع مقابل السواحل الخاصة بالدول ، فحدث خلاف بين الشيخ شخبوط والشركة التي ترى أحقية التنقيب في "الأفشور" والشيخ لا يرى ذلك ، فتم رفع قضية سيحكم فيها في باريس ، الأمر الذي سافر من أجله الشيخ شخبوط و أخيه .

٢- كانت هذه هي المرة الأولى للسفر خارج البلاد ، وكانت فرصة لزيارة المعالم السياحية في فرنسا ، وكذلك عرف الشيخ لماذا أطلق عليها مدينة النور ؟ أثناء هذه الجولات حرص الشيخ بآلا يتخلى عن زيه الأمر الذي أثار الدهشة والاستغراب عند الغرب ، وأيضًا فإن برج إيفل أثار إعجاب الشيخ ودهشته ، الأمر الذي أثار في نفس الشيخ أيكون عندنا مثل هذا ؟ بعدها ذهب الشيخ إلى متحف اللوفر الذي يعرض تاريخ البشرية والحضارات المختلفة من (مصر - اليونان - الرومان - وغيرها) ، وحلم الشيخ أم يكون له مثل هذا المتحف الجامع لحضارات الدنيا ، ويضيف الكاتب بعد رحيل الشيخ بثلاثة عشر عامًا فقد تحقق حلم الشيخ وتم افتتاح متحف اللوفر أبوظبي في نوفمبر ٢٠١٧ .

في هذه الأثناء قابل الشيخ وزير الخارجية الفرنسي "موريس شومان" وحدث بين الاثنين شيء من الاستلطاف ، الذي عرض على الشيخ مشكلة تخلي بعض الأمهات عن آبائهن ، وعليه فقد عزم الشيخ على التبرع والمساعدة .

٣- نعود إلى أرضنا الغالية في ٦ فبراير ١٩٤٥ في الصحراء حيث سباقات الهجن التي تُقام على الدوام ، وعن معرفة الإنسان العربي البدوي بطبيعة الجمل وخصائصه التي تميزه عن سائر الحيوانات ، حرص الشيخ عي الحضور لتوزيع الجوائز على الفائزين ، وهذه المرة فقد شاركت ناقة هزيلة لابن فارس صديق الشيخ ، وهنا تعجب الشيخ من مشاركة هذه الناقة التي راهن عليها فارس ، وقد كان رهانه في محله ، بالفعل فازت ناقته ووزع الشيخ جوائز على الفائزين الأول والثاني والثالث .

٤- بعدها عن طريق الحوار الخارجي الذي دار بين الشيخ وبين الرائد "كوستو" وزوجته "سيمون" وهو رائد فرنسي متقاعد لكنه يتكلم الإنجليزية بطلاقة ، الذي قابله في أبوظبي ، وهناك في البحر علي بعد مسافة يقف مركبًا حوالي خمسين مترًا ، وبعد حوار الشيخ مع "كوستو" انتهى إلى أن الثلاثة قد ركبوا زورقًا صغيرًا متجهين إلى المركب الراسي "كاليبسو" ، وصل الثلاثة إلى المركب وقد جلسوا في ما هو أشبه بقاعة الاجتماعات وفيه تحدث "كزستو" عن تطويره لأجهزة التصوير تحت الماء لمدة تصل إلى ثلاث ساعات ، احتاج "كوستو" إلى مركب فاشترى له صديقة هذا المركب الذي كان تابعًا للبحرية الإنجليزية ، ثم ذكر (المصالح المشتركة).

بعد انسحاب شركة البترول من الخليج ، تم منح الامتياز لشركة أخرى وهي شركة النفط البريطانية والتنقيب تحت الماء ، وجمع عينات من الصخور من أعماق الخليج لتحري عن البترول ، على إثر هذا طُلب بعد عين من قبل الشركة ، وقد أُلِف "كوستو" كتابًا أسماه (عالم الصمت) تكلم فيه عن استخدام جهاز التنفس تحت الماء من "كوستو" الذهاب إلى (الإمارات المتصالحة) والتفاوض لوجود مصالح مشتركة.

٥- اختار "كوستو" مكانًا لوضع معداتهم وأدواتهم اللازمة في التنقيب ، فتم اختيار جزيرة تابعة للدولة تُسمى (داس) وبالفعل تم وضع المعدات ، وجيء بالعمال من الكويت وفلسطين والأردن ، وبالفعل تم اكتشاف حقل بترول فيه ما يقرب من أربعة مليار برميل ، بعدها قال "كوستو"

للشيخ (المهمات المستحيلة وحدها مرصودة بالنجاح)، بعد فترة زمنية ليست بالقصيرة تحديدًا عام ١٩٩٦ تم تكريم "كوستو" في العيد الوطني بعد ما يقرب من خمسين عامًا اعترافًا للجميل ، وقد غادرنا بعد عام من التكريم بعد أن أضاف للبشرية الكثير .

الفصل السابع

"أكثر من كونها زوجتي ، كانت الرفيقة والذخر والسند والمُلهمة"

لندن - نوفمبر - ١٩٥٥

١- عن طريق تقنية السرد يبين الكاتب برودة لندن رغم وجوده منذ ثلاثة أيام في فندق فخم تتوفر فيه وسائل التدفئة المركزية إلا أنه لم يشعر بالدفء ، ووجوده والشيخ شخبوط في لندن من أجل مشاكل الحدود مع الجيران -البريمي- التي تمنيت أن إنهاء الخلافات ويعيش أبناء المنطقة في أمن وأمان ورخاء ونسير سويًا في طريق التنمية (أفضل أن أعيش حياة متواضعة في بلدي على أن أكون صاحب ملايين وحدي) (وأن كل ما نهبه يعود إلينا أضعافًا كما قال الشاعر عروة بن الورد) ، بعدها يصف الشيخ مدى إعجابه واندهاشه بلندن التي تشبه باريس، وكأنها تحاول النهوض بعد الحرب الثانية لتستعيد مكانتها مرة ثانية "سادة مهذبون، وسيارات أجرة سوداء، وأحياء راقية، وأخرى بائسة وتحت الأرض يسير القطار، يسمى الأنبوب " .

٢- مازال الشيخ في توضيحيه لنا كيف سارت الأمور هناك ؟ أثناء وجودنا في لندن اغتنم أخي فرص وجودنا في لندن ليعرض نفسه على طبيب العيون فقد كان يعاني من ضعف في البصر، في مستشفى (سان توماس) سمعت عن هذا المستشفى التي كان يتردد عليها أخي هزاع الذي كان يرفض في كل مرة أن يعرفنا مما يعاني " مرض السرطان " لكننا عرفنا أخيرًا.

ثم يحدثنا الشيخ زايد عن قصر (باكنغهام) الذي أتيحت لهما الفرصة إلى الدخول فيه وكان يعجبه منظر الجنود والخيول، ثم يحدثنا عن الفرق بين الخيل في لندن والخيول في الخليج العربي، الخيول العربية الأصيلة، وسأل عن عدد غرف القصر وعرف أن به سبعمائة وخمس وسبعين غرفة وشعر بالفجوة بين العالم في لندن وعالم الخليج.

٣- في العام نفسه ١٩٥٥ كان قد مر على وفاة الملك "جورج السادس" وتنصيب " الملكة إليزابيث" على عرش بريطانيا ، الأمر الذي غير فكري ومعتقداتي على دور المرأة ، أي أنني كنت أرى :

(من جهتي كنت أعتبر دائما أن دور المرأة يجب ألا يقتصر على الطبخ وإعداد القهوة أو الشاي، هذا منافي للعقل، ينبغي لها على غرار زوجها أن تنتهز كل فرصة لتنمية شخصيتها، ثم يتساءل أليس الرجل أخا للمرأة والمرأة أختا للرجل، والذي يميز بينهما العمل الذي يقوم به)

٤- ثم يحدثنا الشيخ زايد عن زوجته فاطمة بأنه كان محظوظا عندما ربط مصيره بمصير امرأة استثنائية، نادرة، فريدة. وأن هذا كان من حسن حظه أن ترتبط به هذه السيدة التي كان يكبرها سنا بأكثر من خمسة وعشرين عاما.

وبتقنية السرد يحدثنا الشيخ زايد عن زوجته فيقول : كان لديها على صغر سنّها، عطش لا يرتوي للتعلم، والفهم، والإفهام. كنت تصغرنى بخمس وعشرين سنة، لكنّ الانطباع كان يتولّد لدي عندما ترفدني بنصائحها أحيانا بأن هذا الفارق كان معكوسا. وكانت مثلي لم يتح لها أن تتعلم في المدارس الكبيرة، إلا أنها كانت تعلم من شؤون العالم والحياة أكثر مما يعلمه كبار المعلمين. ثم بتقنية الاسترجاع يحدثنا عن حفل زفافه ويصف لنا الفرح الذي خلا من الترف.

٥- حدث ذلك في عام ١٩٦٠ وكان السمة العام في مراسم هذا الزفاف هو البساطة والأصالة وعدم التكلف ، كانت تلك سعادة مطلقة. السعادة : هي أثنى ما لدى الإنسان على وجه الأرض، وأنا أتمناها للجميع، وقد رددت أبياتا كثيرة تعبر عن تعبر عن حبي لها، لم تكن بلغت العشرين بعد وكنت أنا شارفت على الثانية والأربعين، ما اثنان وعشرون سنة من فارق العمر وأنت تكتوي بنار الحب ؟ ذلك أنني أحببتها حقا.

من يوم خطوبتي لها اتحد مصيرانا وبقي كذلك إلى اليوم، بعد مرور أربع وأربعين سنة. أكثر من كونها زوجتي، كانت الرفيقة والذخر والسند والملهمة.

٦- ثم يحدثنا عن شخصية حضرت في هذا اليوم وهو "أنطوني شيفرد" عضو الكاشفة البريطانية الذي أسند إليه مهمة حفظ السلام في المنطقة الذي يحدثنا عن نفسه وعن دوره مع الشيخ.

كنتُ نُقلت للتو إلى العين. وبعد أن تناقشنا برهة طلب تقديم مائدة الغداء. عندئذ وضعوا على حصائر من قصب أطباقا كبيرة مملوءة بالدجاج والأرز. اكتفى زايد بشرب لبن النوق. وعندما أبديت له ملاحظة بهذا الصدد أجابني مبتسما: «ما من غذاء أكمل منه! إنه دواء لكل داء إنه. جرعة سحرية!» ثم يصف لنا طريقة الاحتفال من غير إسراف ثم يحدثنا عن طريقة استقبال الضيوف، ثم يأتي موسم الصيد (صيد الصقور).

٧- استمرت مراسم حفل الزفاف ثلاثة أيام ، وأهم سمة في هذا العرس هي : عدم التكلفة ولا المبالغة ، الطباخون يباشرون عملهم ونيرانهم موقدة بالأشجار ، رجال يقذفون ببنادقهم إلى الأعلى ثم يلتقطونها بمهارة ، خادم يمر على القوم فيرعي عليهم ماء الورد ، لا أحد يرى العروس. أُحيلت القضية مع الجيران إلى المحكمة الدولية ، ستستمر لشهور وسنوات، وأنا أكره المرافعات.

الفصل الثامن

" كل كتاب يقرأه الصغار سوف يفتح عيونهم على عوالم جديدة ،
ولسوف يُبدعون هم أيضًا بدورهم "

١-مدينة العين - ١٩٦٠ يحدثنا زايد عن قلة وضعف الإمكانيات في كل المناحي المحيطة ، لكنه خص بالذكر الناحية الصحية ، فيذكر لنا واقعة الطفلة أمينة ومرضها والصعوبات التي تعرض لها لكي ينقلها لأقرب مستشفى في الشارقة على بعد ١٥٠ كيلو وموتها في الطريق وشعور أمها وأبيها، والحزن الذي أصاب الشيخ زايد وتذكره لأخيه هزاع الذي مات منذ فترة ١٩٥٨ عندما أخبره الطبيب بمرضه الذي لا أمل منه، وما الذي أصابه هو وأخيه خالد وأمه سلامة التي كانت في السبعين من عمرها في مدينة (نيويورك)، والحزن الشديد الذي أصابهم وتمنى أن يحزن الكون كله معه، وتمنى أن تتشج المدينة كلها بالسواد ويتحول النهر الجاري إلى صحراء جرداء، الإنسان عندما يحتاج لمن يشاركه في الحزن والفرح.

٢-أريد أن أبني مستشفى، أحتاج إلى مال حالا، الآن بتقنية الحوار الخارجي طلب زايد من أخيه شخبوط وقال عبارته الخالدة (ما فائدة المال من دون الصحة؟). وروى له مأساة الطفلة أمينة

التي ماتت بين يديه. وفي غضون شهر فُتح مركز طبي أبوابه في العين، وكانت المشكلة في وجود الكادر الذي يأتي لهذا المركز من أطباء وممرضين وصيادلة حتى تستمر الحياة. وقد استطاع الشيخ إقناع اثنين من المبشرين الأمريكيان ، ولكي يرضهما عرض عليهما بناء كنيسة صغيرة، إن رغبا في ذلك، وبعد ثلاث سنوات أصبح هذا المستوصف مستشفى .

[illegible]

استدعاه أخوه بعد عودة من السفر ، وسأله لما أخذت أموالاً من خزانة الدولة دون إذني ، لكن الشيخ استطاع أن يقنعه بضرورة شق هذا الطريق فأبوظبي أشبه بالجزيرة .

٤- يتحدث الشيخ عن والدته التي منحته جزءًا من مالها له حق التصرف فيه ، فأنشأ من هذا المال أول مدرسة في مدينة العين "المويجي" ، ثم تابع الشيخ قائلًا إرسال الأبناء إلى المدرسة قد يبدو أمرًا طبيعيًا. لكن ليس عندنا في تلك الأيام. كان الأهل لا يستسيغون الانفصال عن فلذات أكبادهم ولو لبضع ساعات في النهار. ذلك لسبب وجيه: كان الأولاد في نظرهم يدا عاملة في الحقول أو رعي الماشية، وغيابهم يؤدي إلى خسارة في الدخل. وكان عليّ أن أقاتل، حتى مع صديقي فارس. هل تعلم القراءة والكتابة يجعلنا أذكى أو أفضل؟ ما فائدة التربية؟ التعليم؟ انظر إلى نفسك! أتظن أنك لو كنت تلقيت تعليمًا عاليًا لكنت رجلاً أكثر تألقًا مما أنت عليه؟ إن ما لديك من قوة وطاقه ما كان لأي مدرسة أن تغرسهما فيك.

٥- من خلال الحوار الخارجي بين زايد وفارس يوضح لنا أهمية القراءة في هذا العصر وأن التعليم هو سبيل الغد ولا مفر منه ، وقد كان من نتيجة الحوار اقتناع فارس فأرسل ولديه إلى المدرسة.

لم تتح لي يا للأسف فرصة الالتحاق بالجامعات الكبيرة، بخلاف أبنائي (خليفة و سلطان و محمد) الذين شجعتهم على الالتحاق بالأكاديمية العسكرية الملكية في ساند هرست.

٦- ومن خلا الحوار الداخلي يبين لنا الشيخ زايد كيف نواجه النقص في طريقة التفكير ، وطريقة الاختلاف مع وجهات النظر المختلفة بشكل عام في أمور الحياة والقيادة بشكل خاص وليس بمستبعد أن يكون هذا النقص هو الذي دفعني طوال حياتي إلى أن أجعل من التعليم أولوية. التعليم مرادف للتقدم أيضا ، على العكس من أخي، لم أفكر يوما أن التقدم كان فأسًا في يد مجنون. في المقابل، أدرك تماما أن التنمية إذا كانت على حساب هويتنا فقد تكون ضارة. في الحقيقة، علينا أن نكون أشبه بالعجلة إنها، تدور لكن مركزها بلا حراك ، أي نوظف أحدث الوسائل المناسبة لنا، مع الاحتفاظ بهويتنا وأصالتنا .

الفصل التاسع

" لا أؤمن بالمصادفة ، أؤمن بالتغير "

١ -بتقنية السرد يعرفنا الشيخ زايد بالمهندس (تيم) الذي كان يعمل في شركة النفط البريطانية ، حيث نُقل إلى بغداد ، وبعدها بثلاث سنوات عرضت عليه الشركة المجيء إلى أبوظبي وزوجته سوزان وابنتهما (ديبورا) التي أكل القرش حفاظاتها أثناء قدومهما عن طريق البحر في دبي ، والمعاناة التي تعرضوا لها في أول الأمر بسبب العادات والتقاليد واللغة فالتربية الأوربية تختلف تمام الاختلاف عن البدوية ، ومن خلال تقنية الوصف تقدم لنا سوزان صفات البدو، وعن صعوبة الإقامة في هذا المكان الجديد خاصة عدم إمكانية تبادل الرسائل مع عائلتها في إنجلترا ، وعلاقتها بوالدة الشيخ زايد (سلامة).

ثم تحدثنا عن حفلات عيد الميلاد التي كانت تقيمها لديبورا وكان يحضرها الأطفال وقد حضر الشيخ زايد مرة من هذه الاحتفالات، ثم يحدثنا الشيخ زايد عن كتابة أم ديبورا عن الحياة في المنطقة وجمعيتها في كتاب عنوانه (قبل النفط) الذي صدرت منه الطبعة الأولى بعد وفاة سوزان وترجم إلى العربية .

٢-العثور على الآثار في جزيرة (أم النار) وكيف وصل تيم وزوجه وصديقه "جيوفري" عالم الآثار إلى هذه الجزيرة وزوجته أيضًا ، ووجود تماثيل وآثار تحت سطح الماء في هذه الجزيرة والخلاف

حولها هل هي تعود إلى ما قبل الإسلام أم إلى زمن إبراهيم عليه السلام ، ثم يحدثنا عن علاقة الشيخ مريم زوجة الشيخ شخبوط وسوزان زوجة تيم وصديقتها ، ثم يحدثنا الكاتب عن الصفات الجسدية للشيخ زايد، رجل طويل القامة، نحيل، عريض المنكبين، له وجه أصفر ولحية سوداء مشدبة بعناية، جاءت هذه الأوصاف على لسان المهندس تيم، عندما قدمه الشيخ شخبوط لهم وتوثق الصلة بالمهندس تي، ثم يخبرهم الشيخ إذا أردتم رؤية أكمات كهذه بالمئات تعالوا البريمي ، وبالفعل بعد بضعة أسابيع ذهبوا إلى البريمي .

٣-المولد الوحيد في المنطقة يملك الشيخ زايد وجهاز (بروجكتور) من خلاله يشاهدون أفلام تاريخية التي كان الشيخ زايد يعشقها مثل (فيلم عنتر بن شداد)، الفيلم الذي شاهدناه كان يروي البطولات الأسطورية للبطل العربي عنتر، حيث كان هذا المحارب يقود المقاومة ضد أباطرة بيزنطة، انتهى الفيلم حوالي الساعة الرابعة صباحا بمبارزة بالسيف تدور في القصر الإمبراطوري بالقسطنطينية، ثم لقاء زايد وابتسم زايد وهز رأسه قائلاً : سآتي لاصطحابكم في الساعة السابعة ، كانوا يعرفون أن العرب غير ملتزمين بالزمن إلا أنهم اكتشفوا تقدير الشيخ زايد للوقت.

٤-في طريق العودة قلنا إن الشيخ سوف يتأخر على الأرجح، لأن الدقة في المواعيد ليست ميزة العرب الأولى. لكن على سبيل الكياسة ومن باب الاحتياط قرّرنا أن نكون مستعدين، عند الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والأربعين .في لساعة السابعة ودقيقتين سمعنا هدير المحرك ، كان زايد في أتم اليقظة وهو يقود السيارة الأولى .هتف: «هل تأتون؟».

من أهم الدروس التي سعى الكاتب إلى تطبيقها في هذا الفصل هي احترام الوقت من جانب الشيخ زايد وكيف ينظر الأجانب للعرب بشكل عام على أنهم لا يحترمون الوقت وقد جعلهم زايد يغيروا الفكرة.

٥-هنا لا بد من وقفة حول كتاب (قبل النفط) الذي طبع بلغة غير اللغة العربية وقد رفض نشر هذا الكتاب أكثر من خمسين ناشرا وكانت الطبعة الأولى على نفقة المؤلفة. وفي عام ٢٠١٥ ، بعد وفاة سوزان عادت ابنتها ديبورا إلى بلد طفولتها لتمثل أمها وتتلقى جائزة فخرية عنها من ידי (نجل الشيخ زايد)، ولي العهد الشيخ محمد بن زايد. بعد ذلك ترجم الكتاب إلى اللغة العربية وطبع بدعم من وزير التسامح الشيخ نهيان بن مبارك آل نهان صديق طفولة ديبورا والكتاب عبارة عن بعض العادات والتقاليد التي كانت موجودة في مدينة أبوظبي قبل النفط.

الفصل العاشر

"من يملك الخيار يملك معه أيضًا القلق الذي يرافقه"

١- العين ١٧ أبريل ١٩٦٢ .

من خلال تقنية السرد قدم (دوغلاس هوم وزير الخارجية وشؤون الكومون ويلث) سمات القيادة والحكمة للشيخ زايد قائلا: إن الشيخ زايد، في رأينا ، يمتلك المميزات الضرورية ليكون حاكم الإمارة وهو يتمتع بشعبية ويحظى باحترام كبير من السكان والجيران. إنه لطيف ومنفتح جدا، ومن سماته الشخصية الشجاعة، والصراحة، والكرم ، همه الوحيد مساعدة شعبه وانفتاح البلاد على الحداثة، هنا يكمن الفارق الكبير بينه وبين أخيه، الشيخ شخبوط.

هذا لا يعني مع ذلك أن الشيخ زايد سيكون حاكما نستطيع أن نتلاعب به كما نشاء لأنه يمتلك كل أنفة البدو ومتمسك جدا باستقلاليته من المؤكد أنه لا نحن ولا أي سلطة أخرى سنكون قادرين على التأثير في قراراته. غير أنه لما كان مدرگا الأهمية المشكلات التي تواجهها بلاده فلا شك في أنه سوف يقبل المساعدة التي يمكننا تقديمها لحل تلك المشكلات.

٢- لماذا كان الشيخ زايد يحظى بتقدير وحب السكان والجيران قبل توليه زمام الحكم. للإجابة على السؤال جزء من الذي قاله الوزير في العبارة السابقة أضف إليها النزعة الإنسانية في شخصية زايد، تقديره للصغير والكبير، احترامه للإنسان، سابق لعصره بسنوات، تطلعاته في بناء المدارس والمستشفيات وبناء الطرق، توزيع الماء للفقراء مجانا بعد أن حاول الأغنياء احتكاره، يشارك الناس أفراحهم وأحزانهم، عطف على مريضهم ومصابهم، مهد لهم الطرق ووفر لهم المهن بعد أن تعثرت المهن التي كانت من وراء تجارة اللؤلؤ، جمع القبائل ووحد كلمتهم، يجالسهم ويستمع إليهم.

٣- في السادس من يوليو عام ١٩٦٢ يخبرنا الشيخ أنه تلقى رسالة من أخيه الحاكم ، مفادها أنه تم تصدير ١٧٠ ألف طن من النفط الخام ، بمبلغ مليوني دولار ، كان هذا أكبر مبلغ استلمناه في تلك الفترة .

أواخر عام أبريل ١٩٦٦ كان عليّ الذهاب إلى لندن لسببين : إجراء لقاءات مع المسؤولين البريطانيين ، عرض ابني خليفة على طيب عيون ، في هذه الأيام ذهب أخي إلى الأردن في زيارة ، بتقنية الحوار الداخلي أعترف أنني ذهلت فيما كان أخي يبدي هذا السخاء المفاجئ ، بقدر ما هو غير مفهوم ، لم يتقاض أفراد القوى الأمنية عندنا مرتباتهم منذ عدة أشهر وكانوا ما زالوا ينتظرون معاشاتهم المتأخرة، لم أسع إلى طرح السؤال على أخي.

لكن همس لي أنه أسف لإقدامه على هذه الخطوة، وهذا ما أكده لي بعد ذلك السير وليام لوس، المندوب البريطاني الجديد، لقد تلقيت منه بعد فترة وجيزة رسالة يُعلمني فيها أنني بت من ذلك اليوم فصاعداً مُطلق الصلاحية في توقيع شيكات وإجراء تحويلات مالية باسمه، كان ذلك تحوُّلاً حقيقياً، أكد لي أيضاً أنه طلب من أرابيكون أن تقدّم له مشروع شبكة طرق، كنت على اطلاع بشأن أرابيكون، فالأمر كان صعباً على الشيخ زايد وفكر فيه كثيراً.

٤- يحدثنا الشيخ عن أخيه الذي استمر في سياسته وللأسف، في عام ١٩٦٦ عُقد اجتماع كبير في العين مع الوالده والأخوة وأفراد العائلة، ومن ثمّ قالت الشّيخة سلامة والدة الشيخ زايد: (آمال بلادنا يا زايد باتت معقودة عليك) أبعاد هذه العبارة الكثير من المعاني والدلالات: أنت الذي ستوحد البلاد، أنت الذي سيعبر بها إلى طريقة السلم والسلام، أنت الذي ستجمع شمل القبائل وتوحد كلمتهم، أنت الذي سيحبه من في الخارج والداخل، أنت من سيمكن المرأة وسينشر التعليم ويبنى المستشفيات والطرق، أنت الذي سينقل البلاد في زمن قياسي من صحراء جرداء إلى جنة خضراء، أنت من سيحافظ على القيم والهوية، أنت من سيجع الحداثة والرخاء والبناء، أنت من يحترم الإنسان.

٥- ما عدت أدري من قال لي ذات يوم: «مَنْ يملك الخيار يملك معه أيضاً القلق الذي يرافقه». هل يحق لنا بالفعل ذلك؟ فكرتُ أيضاً في عزة نفس الشيخ شخبوط، وفي كبريائه. وإذا رفض؟ تذكرت القسم الذي أدينه أمام أمي: «احلفوا أنكم لن تسفكوا دماً البتة. احلفوا لي أنكم سوف تتساندون ويعضد بعضكم بعضاً، في الحل والترحال، احلفوا تملكثني ارتعاشه. نظرت إلى أمي ثم قلت بنبرة واثقة: عدوني أنا إذا ما اعترض أخونا على قرارنا، إذا ما رفضه، فلن نفعل شيئاً لإرغامه. لا شيء. عدوني! في حالة العكس، يتوقف نقاشنا هنا، لن أتولى الحكم.

٦- فكرة المساس بكرامة أخي كانت لا تحتل، ما العمل؟ عندئذ، للمرة الثانية، بحثت عن الجواب، تذكرت عندما كنت طفلاً قال لي المطوّع الذي علمنا القرآن: «أصغ إلي يا صغيري، حين يخفى عليك أي طريق تسلك استسلم للمصير الذي قدّره الله لك. في مواجهة الأحداث لا تحاول أن تبدل سطرًا واحدًا في النصّ المكتوب لأجلك، ثم إنك لا تستطيع ذلك. اسلك بهدوء الطريق الذي يقترحه عليك واجتهد للكشف عن معناه وافعل، معناه وافعل ما بوسعك لبلوغ الهدف، الهدف الذي عينه لك» بنبرة قاطعة كنت أول من فوجئ بها: موافق. أقبل هذا الشرف.

الفصل الحادي عشر

"أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) أَقْرَأْ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)"

١- يبين لنا الشيخ في مطلع هذا الفصل دور رفيقة الدرب سمو الشيخة - فاطمة رحمها الله - وعن دورها الريادي ، ودعمها الشديد فقد كانت السند والعون ، وهي التي تخفف عنه عبء القيادة والمسؤولية ، ثم يحدثنا الشيخ عن عقلها الرزين وحكمتها في الحياة ، مع العالم بأن الفارق بين الاثنين في العمر ما يقرب من ربع قرن ، أخبرته أنها معه في فكرة التقدم ، كما ذكرته بالآيات التي تحث على التقدم والتعليم ، وأنها تريد مدارس للبنين والمدارس للبنات .

بعدها يذكر لنا الشيخ أن دخل الفرد في الكويت كان مرتفعاً ، وهو يطمح لزيادة دخل المواطن أربعة أضعاف ، ثم يحدثنا عن أمريكا وفرنسا وإنجلترا كم من هبات ، كم من غابات رائعة ! في المقابل أننا حرمانا الماء إلا أن الله ببالحكمة قد عوضنا بالذهب السائل .

٢- اهتم الشيخ رحمه الله ببناء البنى التحتية في أسرع وقت ، ففي عام ١٩٦٦ كان موجود وكيل سياسي إنجليزي " السير ألبرت توماس لاب " تكلم الشيخ معه عن بناء مدينة في خمس سنوات فتعجب السير وقال له أريد أن تخرج من تحت الرمال في خمس سنوات ، فأخبره الشيخ مصححاً أريد أن أبني أمة .

٣- اقترح السير على الشيخ تكوين لجنة استشارية من أربعة أو خمسة أشخاص ، مهمتهم قياس الاستثمارات التي تعتمد توظيفها في المشاريع المقررة .

هذه اللجنة ذكرت الشيخ بالشيء المؤلم وهو الافتقار إلى الخبراء في شتى المجالات . المهم أن السير أخبر بأول أشخاص هذه اللجنة وهو المهندس المعماري الإنجليزي " جون إليوت " ، قابله الشيخ بعد أن وصل فأخبره : أريد مدينة حقيقية ، لا أريد مدناً نفطية ، كما أنه ركز على العمران الذي في خدمة الإنسان ، وأنه كان يحلم ببحر من الخضرة ، كان يرى المستشفيات والمكتبات العامة والجامعات ، كما أنه كان يشارك في مزارع تجريبية في مدينة العين ويختار أسمدة مصنوعة من روث وطحالب ، ويزرع أجناساً جديدة من النباتات المعروفة بمقاومتها الشديدة للجفاف ، فقد رحمه الله رجل بيئة بحق ، وقد كان همه الإنسان في سكنه وعمله وأسرته ومكان إقامته .

٤- من خلال التعاون مع " جون إليوت " واستشارة أصحاب الخبرات، من خلال تطوير المسكن الشعبية ، وحدد الشيخ أولوية البناء لفئة السكان الأكثر عوزًا ، وحدد الشيخ مواصفاتها : تتكون من غرفتين ومطبخ وحمام ومساحة خضراء ، ولكي يشجع القبائل البدوية على الانتقال في مدينة العين تعهد بتقديم ألف جنيه استرليني لكل عائلة . وبالفعل بلغ عدد المستجيبين لندائه ٣٥ ألف نسمة ، و نقل التطوير للعاصمة مع بعض الفروقات الدقيقة، وإعطاء الأولوية للعائلات الكبيرة . يروي لنا المهندس " جون إليوت " أنه كان مندهشًا من الشيخ ، فلم يره أبدًا مستخدمًا ورقة أو قلم ، وإنما كان يستخدم عودًا من الخيزران ، لكي يرسم على الرمل وكان يتمتع بنقل أفكاره باستخدام العصا على الرمل .

ولكن ما يدعو للأسف أن هذه التجربة الرائعة توقفت عام ١٩٦٨ ، لم يجدد العقد مع أرابيكون بسبب نقص في المواد الضرورية لتعبيد الطرقات .

الفصل الثاني عشر

" من الآن فصاعدًا أنت تمتلك القدرة على رفع مكانة بلادنا إلى أعلى ذرى المعرفة ، والتقدم . أقدم ، أقدم على وجه السرعة!"

١- على لسان المهندس الياباني "كاتو سو هيكو" يخبرنا بأن اتصال هاتفي من السفير الياباني في الكويت مفاد الاتصال يود الشيخ زايد مقابلتك ، وبالفعل بعد فترة وجيزة أتى المهندس إلى العاصمة أبوظبي ، بعدها قابل الشيخ الذي رأى فيه أنه متفتح الزهن ، يسمع للآخرين ، يقدر الصغير والكبير ، كما أن أولوياته تتلخص في الأمن والصحة والتعليم .

كمان أن الشيخ يريد شوارع مستقيمة ، فتريح الناظر فيها والماشي ، ويسهل على الذاهبين فيها والحاضرين إليها سرعة الوصول .

دامت علاقتي بالشيخ أقل من عام ، بسبب أنني اقترحت عليه بناء العاصمة في منطقة المفرق ، أما الجزيرة فاقترحت عليه تحويلها إلى منطقة سياحية فحسب ، رفض الشيخ النقاش حتى فيها ، كما أن الشيخ قد سئ من وجود مترجم ، وكأنه يفضل التعامل مع مهندس عربي .

٢- ينتقل الحديث إلي الشيخ فيخبرنا بأن الأمم المتحدة قد اقترحت عليه مهندسًا معماريًا . هو الدكتور عبدالرحمن مخلوف ، ابن القاهرة ، وصل في نوفمبر ١٩٨٦ ، كنت في جنيف لحل

مشكلة النزاع الحدودي مع الجيران ، لم يضع مخلوف وقتًا ، بدأ بمسح الأراضي ورسم المخططات ، بدأ المهندس بوضع المخططات على نفس ما كان يجول بذهن الشيخ في أن المدن صُممت لتسعد سكانها وتفرحهم ، حظيت العلاقة بين الشيخ ومخلوف بمزيد من الاحترام والتقدير والثقة ، فتم تعيينه رئيسًا لدائرة تخطيط المدن ، وقد شغله مخلوف بكفاءة عالية . عرفانًا بالجميل ، منحته جنسية بلادي . قال الشيخ .

ثم يتحدث المؤسس عن بعض الشخصيات التي جاءت إلى العاصمة واستقرت بها منها : الدكتور عدنان الباجه ، العراقي الأصل والذي تم تعيينه وزيرًا في الدولة .

شخصية أخرى وهي نشيي "ابن السفير الأردني في لندن " الفلسطيني الأصل ، الذي كان يعمل مترجمًا وكان من المفترض أن يقابل الشيخ أقل من ساعة ، لكن استمرت هذه العلاقة ما يقرب من ٣٦ عامًا ، فيقول عنه الشيخ كان حافظ أسراري ، ومستشاري ، وأحد أصدقائي المقربين بوجه خاص .

شخصية أخرى وهي ماما زليخة أول طبيبة هندية تأتي إلى العمل عندنا ، وهي حينها لم تسمع بالمنطقة ، وعند قدومها في شهر ٨ ، كان الجو حارًا جدًا تخلت أنها قد هبطت في فوهة بركان . شخصية أخرى وهي الدكتورة فرك هيرد وزوجها المهندس دافيد هيرد ، هذه المرأة التي كان لها الفضل الأكبر في تنظيم وترتيب كل المخطوطات والكتب التي تؤرخ هذه الحقبة التاريخية . شخصية أخرى وهو الدكتور محمد مرسي عبدالله الذي اقترح إنشاء مركز الوثائق والبحوث ، الذي كان يعمل حينها في دولة قطر ، وبالفعل تم إنشاءه وكان معه أحمد خليفة السويدي . كان لهؤلاء جميعًا الفضل في التعريف بالوجه الحقيقي لبلادي .

ثمرة النجاح تأتي مع الصبر

MR:MOHAMMEM MALAK

055540 5921